الطبقة الحاكمة: مؤسساتها وارتباطاتها وأساليب هيمنتها

« وطني » او على الاقل على اساس منطقي ـ ولكن هذه المحاولة فشلت .

وكانت اضرابات عام ١٩٦٩ ، انذارا للحكومة ولاصحاب العمل بان الاضرابات ممكنة رغم حالة الحرب و « الوحدة الوطنية » . وعندما اضرب عمال البريد ، اصدرت الحكومة الاسرائيلية مرة اخرى ، الاوامر بالمبادرة بموافقة الهستدروت، ضد المضربين ، لاجبارهم على العودة الى العمل كما تسمح القوانين القائمة .

وخرق المضربون قوانين الدولة وقدموا الى المحاكم ، ولكن لم يقدر لتلك المحاكمات ان تصل ، حتى الان ، الى نهاية . وثمة عامل آخر اتصف به نضال عمال ميناء اسدود : فقد هدد الهستدروت بان يقدم مناضلي اتحاد العمال المحلي امام « محكمة داخلية » ، ولكن المناضلين المحليين ، بدعم من العمال ، تمسكوا بموقفهم . افتتحت المحكمة بحضور مصوري التلفزيون ، وقد عمل ذلك نقطة واسعة في البلاد ، وقد ندد بالعمال على انهم عملاء لفتح و « مخربون » وكانت تهديدات قيادة الهستدروت : « اذا كنتم مذنبين فستنالون اقصى العقوبات ، وذلك يعني طردكم من الهستدروت ، فتفقدون كل فوائد الضمان الاجتماعي لكم ولاسركم » . استمر العمال في اضرابهم وتحولوا من متهمين الى متهمين ، ونالت قيادة الهستدروت سمعة سيئة، واسرعت الى انهاء الشهر دون اصدار الادانة .

الاضرابات في اسرائيل السنة	عدد الاضرابات	نسبة المضربين بالالف	نسبة ايام الاضراب بالالف
١٩٤٩	٥٣	٥	٥٧
١٩٥٠	٧٢	٩	٥٥
١٩٥١	٧٦	١٠	١١٤
١٩٥٢	٩٤	١٤	٥٨
١٩٥٣	٨٤	٩	٣٥
١٩٥٤	٨٢	١٢	٧٢
١٩٥٥	٨٧	١٠	٥٤
١٩٥٦	٧٤	١١	١١٤
١٩٥٧	٥٩	٤	١١٦
١٩٥٨	٤٨	٦	٨٣
١٩٥٩	٥١	٦	٣١
١٩٦٠	١٣٥	١٤	٤٩
١٩٦١	١٢٨	٢٧	١٤١
١٩٦٢	١٤٦	٣٨	٢٤٣
١٩٦٣	١٢٧	٨٧	١٢٩
١٩٦٤	١٣٨	٤٨	١٠٢
١٩٦٥	٢٨٨	٩٠	٢٠٨
١٩٦٦	٢٨٢	٨٧	١٥٦
١٩٦٧	١٤٢	٢٥	٥٨
١٩٦٨	١٠٠	٤٢	٧٢

المصادر : كتب الاحصاء السنوية : ١٩٦٥ ، ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ .
التقرير السنوي لبنك اسرائيل .

ملاحظة : حتى عام١٩٥٩ ، اضيفت الاضرابات التي دامت اكثر من ساعتين . وتتضمن الارقام كذلك الاغلاق التعجيزي ، ولكن هذه نسادرة ولا تؤثر على المقارنات السنوية .

احزاب اليمين الصهيوني

اذا كانت الاحزاب اليسارية الصهيونية تسيطر على الهستدروت ، فان مركزي القوة الاخرين ، الحكومة والوكالة اليهودية ،يعكسان صورة اوسع للراي الصهيوني . ان النظام الانتخابي هو نظام نسبي ، فكل حزب يقدم قائمة على نطاق البلاد باكملها في الانتخابات، ويعطى على هذا الاساس الـ ١٢٠ مقعدا في الكنيست للاحزاب التي تحصل على اكثر من ١ بالمائة من الاصوات .

ومن الثلاثينات حتى الستينات ، تكون اليمين الصهيوني من حزبين ، «الصهيونيون العموميون» وحيروت (الحرية) . ومثل الصهيونيين العموميون راس المال الخاص الصهيوني في فلسطين ـ ملاك بيارات الحمضيات ، وملاك الاراضي الاخرون ، والصناعيون .

لقد كان حزب الصهيونيين العموميين مثالا على الحزب الراسمالي بذات الشعارات كما في الغرب ، باستثناء دعوته الى تحديد سلطات الهستدروت ، عدا عن تحويل الاقتصاد الى اقتصاد خاص تماما . ولم يؤسس حيروت على المصالح الاقتصادية بطريقة الصهيونيين العموميين ، ولكنه تاسس على الصهيونية العاتلة والمتطرفة . وكانت شعاراته (الثلاثينات وما تلاها) : « للاردن ضفتان : واحدة لنا ،والاخرى لنا كذلك » و « بالدم والنار سقطت يهودا (الضفة الغربية) ، وبالدم والنار ستنهض » لقد تبنى الحزبان سياسة الغزو العسكري اكثر من الاستيطان الاستعماري ، التي كانت سياسة اليسار الصهيوني ، واستخدم حيروت تكتيكات وشكلا كله حيروت ـ الاحرار ـ « غاحال » . (كلمة « احرار » في اسرائيل تعني «محافظين»).

ولاول مرة في تاريخ اسرائيل ، قبل حيروت في الوزارة عشية حرب حزيران ليشكل جزءا مما يسمى بـ « حكومه الوحدة الوطنية » ، ولكنهم بركوا وزارة مائير في آب ١٩٧٠ بسبب قبولها مشروع روجرز الذي دعا الى انسحاب اسرائيل من خطوط وقف اطلاق النار لعام ١٩٦٧ ، وتلقى غاحال ، مثل اليسار الصهيوني، معظم المساعدات المالية من الوكالة اليهودية .

مازق اليسار الصهيوني

كان اليسار الصهيوني ، منذ اوائل العشرينات حتى هذا اليوم ، العمود الفقري للمؤسسة الصهيونية في فلسطين ، وخاصة اولئك المهاجرين الذين جاءوا من اوروبا الشرقية بين اعوام ١٩٠٤ و ١٩١٤ . كان هذا اليسار على الدوام اصلاحيا وقوميا ، رغم انه انشق مرارا ومرارا نتيجة الخلافات الداخلية بين صهيونيتها واشتراكيتها . ويمكن حصر النزاعات التي مرت بها تحت ثلاثة عناوين :

١ ـ السياسة الخارجية : الموقف الذي يجب تبنيه حول الامبريالية في الشرق الاوسط واي مكان اخر ، وحول الحركة الاشتراكية في العالم قاطبة ، خاصة عندما يتنازع النضال ضد الامبريالية او التعاون مع الحركات الاشتراكية مع طموحات الصهيونية .

٢ ـ الصراع الطبقي : السياسة التي يجب اتخاذها حيال المستخدمين اليهود في فلسطين وتجاه القطاع الراسمالي داخل الصهيونية .

٣ ـ الاممية الاشتراكية : ما اذا كان ينبغي اتباع نضال مشترك او منفصل مع الفلاحين والعمال الفلسطينيين ضد الراسمالية في فلسطين ، وما اذا كان ينبغي تاييد الحركات الثورية الاخرى .

كان كل اولئك الذين اختلفوا حول هذه المسائل لا يزالون صهيونيين ، مثلا : اعتبروا ان هدفهم الرئيسي تاسيس دولة قومية يهودية تماما والمحافظة عليها ، والهجرة اليهودية من كافة انحاء العالم . وكانت دائما ، خارج اليسار الصهيوني ، فئات قليلة تشكل اليسار المعادي للصهيونية ، لم تواجه الوطرفات السياسية المذكورة هنا ، كانت خلافاتهم مع بعضهم حول مسائل استراتيجية وتكتيك النضال ضد الصهيونية ومن اجل الاشتراكية في فلسطين .

وسيجري اختبارهم فيما بعد . واهم الاحزاب الصهيونية هو الماباي (حزب العمل الاسرائيلي)، تاسس عام ١٩٣٠ باندماج حزبين صغيرين ، وهو الحزب المسيطر في كل الحكومات الائتلافية منذ عام ١٩٤٨ .

واتفق العنصران الاساسيان اللذان شكلا الماباي ان الغرد اليهودي يجب ان يكون له الاولوية على التعاون مع العمال والفلاحين العرب في فلسطين . ومع ذلك ، اختلفا حول درجة التعاون الطبقي مع اصحاب العمل الصهيونيين، ولفظ عندما توصلا الى اتفاق ، قررا الاندماج.

وكانت السياسة التي اتفقا عليها هي سياسة اخضاع المصالح الطبقية للمصالح الصهيونية ضمن الجالية اليهودية نفسها ، واصبح الماباي هو البطل الرئيسي لسياسة : « اليد العاملة اليهودية فقط » .

لقد عنت هذه السياسة ان يضغط على ارباب العمل اليهود لتشغيل العمال اليهود فقط ولقد جرى ارهاب العمال العرب وارباب العمل اليهود ، احيانا بالعنف ، لتنفيذ هذه السياسة.

ضمن الجالية اليهودية في الثلاثينات ، واخيرا فاز بها الماباي ، ضامنا بذلك دوره المسيطر .

وقد تفانى في خدمة هذه السياسة ، بومنا هذا ، زعماء مثل بن غوريون ، وليفي اشكول ، وغولدا مائير ولا زالوا يسيطرون داخل اسرائيل . ولم يعتبر الماباي نفسه ، على الاطلاق ، ماركسيا أو ثوريا ، بل اشتراكيا اصلاحيا ، ورغم ان السيدة مائير تكلمت في عام ١٩٥٠ عن « الاشتراكية في عصرنا » فان الحزب لم يعد يدعي ان له اي علاقة بالاشتراكية .

وفي كل النزاعات بين الامبريالية والقوى المناهضة للامبريالية في الشرق الاوسط ، فقد تعاون هذا الحزب ، بوعي ، بل وتامر سرا (كما حصل في حرب السويس) مع الامبريالية ، وله دور واضح في استمرار التاثير الامبريالي في المنطقة ، ويعتبر ان اي نصر تحرزه القوى المناهضة للامبريالية تهديد لاسرائيل نفسها .

وبعد ٢٢ عاما في الحكم ، حملت بعض التغيرات في الحزب ، واهمها ظهور تكوفراقية تشمل ضباطا عسكريين دخلوا الاقسام كادارين واخصائيين (١٥) ، وهذه الفئة هي في صراع مع الاعضاء القدامى ، وتمثل النزوع المتنامي للجيش في السياسة الاسرائيلية ككل ، بسبب المهارات التكنيكية التي تنطوي بها ، وبسبب الثقل المتزايد للعسكرية في الفترة التي اعقبت حرب حزيران .

وعندما طرد بن غوريون من السلطة في عام ١٩٦٥ ، انضم اليه كثيرون من هذه المجموعة ليشكلوا حزب رافي (قائمة عمال اسرائيل) ، ولكن ، عندما تاكد هؤلاء التكنوقراطيون ان بن غوريون لن يعود الى السلطة اسرعوا بالانضمام من جديد للحزب الحاكم ، ويطلق الان على الحزب الذي اعيد توحيده حديثا اسم « هاعفودا » (العمل) ، ومن المتوقع عندما يختفي « الحرس القديم » اي الاعضاء القدامى في السنوات القليلة القادمة ، فان هذه المجموعة الجديدة ستكون القوة المسيطرة في السياسة الاسرائيلية .

وثاني اكبر الاحزاب اليسارية الصهيونية هو حزب المابام (حزب العمال المتحد) ، تشكل في اواخر الاربعينات ، وتالف بصورة اساسية من هاشومير هاتزائير (الحرس الفتي) ،وبعض المابام نفسه ، في المنشا ، ماركسيا ثوريا ، واقترح انشاء دولة ثنائية القومية في فلسطين ومع ذلك لا بد من وجود اغلبية يهودية يضمنها الدستور والى ان تتحقق هذه الاكثرية من خلال الهجرة ينبغي ان نظل فلسطين تحت «الوصاية الدولية » .

وقد تخلى الحزب عن فكرة دولة ثنائية القومية في عام ١٩٤٧ ، عندما قبلت الامم المتحدة (*) والاتحاد السوفياتي تقسيم فلسطين وكان المابام على الدوام قليلا الى يسار الماباي في كثير من القضايا النقابية في اسرائيل ـ وفي الاقل لفظيا ـ في شؤون السياسة الخارجية كذلك . ولكنه ظل على ولاء للصهيونية مما ادى الى تعاون مع الامبريالية ، في السياسة الاسرائيلية وينبع المابام دائما ، في

(*) لعله يقصد الولايات المتحدة .

■ العسكرية الاسرائيلية ووالدها ■

حد الضغط الاحتجاجي ، خطى الماباي ،ولكنه الرئيسية للدفاع عن الصهيونية ضد هجمات الاشتراكيين والماركسيين والثوريين في داخل والخارج ، ولا زال يؤدي دوره ، رغم تمثيل نوعا ما منذ ١٩٦٧ .

وانشق المابام ، باستمرار ، الى كيبوتزاته ولكنه خلق جديد من الحياة الجماهيرية بيد انه لم يكن ابدا ان كثيرا منها اقيمت على اراضي ارتها الفلاحون العرب ، وانه لا يوجد كيبوتز وبي ـ عربي واحد ، وكلما جرى تمولها الاموال الصهيونية (١٦) ويتحدث المابام عن الاموال اليهود في تقرير المصير في فلسطين » ، غير ان يعني بذلك حقوق السكان اليهود الذين يعيشون في اسرائيل حاليا ، ولكن الحقوق السياسية لليهودية العالمية في فلسطين .

يعبر المابام ، مثل كل الصهيونيين ، على تمسكه على قانون الهجرة الاسرائيلية التي تمنح اي يهودي هجرة اوتوماتيكية لليهود بينما تنكرها على اي انسان اخر . ويعمل المابام ، مثل كل الاحزاب الصهيونية الاخرى ، عن طريق الوكالة اليهودية ، وهذا يمكنه من الحفاظ على جهاز حزبي ، وصحف يومية وشبكة اعلام في الخارج.

في النزاع الدائم مع العالم العربي، تجير الاتجاهات المعادية للامبريالية في داخله ، تجير صهيونية في الاعتماد باضطراد على الامبريالية، بما يخلق ضغطا دائما ينقل اليسار الصهيوني الى اليمين . وعلى دربه الطويل ، من اصوله روسيا لما بعد ١٩٠٥ ، كان اليسار الصهيوني ، واحدا بعد الاخر ، يعفي شعارات الثورة ، الاشتراكية ، ومعاداة الامبريالية . وفي كل مرة الى اليمين ، يخلف وراءه فريقا منشقا حاملا شعار التروتسكي .

واخر نتاج من هذا النوع هو سياح (اليسار الجديد الاسرائيلي) . شكله ، بعد حرب١٩٦٧، زعماء المابام الذين عارضوا تعاون حزبهم مع كتلة رافي ـ اشكول ـ بيجن ، وكان تاكيدهم على اختيار سياسة اسرائيل لبادرة سلام . ورغم انهم يشيرون انفسهم ماركسيين وثوريين ، فانهم يتبنون بولاء للصهيونية ، وكتب محرر احدى نشراتهم ، مؤخرا : « يجب ان يرتكز لتغيير ثورة المجتمع الاسرائيلي وتعزيز سياسة السلام، بما حدث ، على التاكيد المبدئي والمثابر لدولة اسرائيل ، والمبادىء الصهيونية التي قامت وعمليا ، ليس من جديد حوله .

كان الحزب الشيوعي ، باستمرار ، يدافع عن حقوق العرب الفلسطينيين ، ليس فقط حقهم في تقرير المصير بل بكثير من حقوقهم اليومية في اسرائيل ، وقد شن نضالا تغابيا يوميا باشلا دفاعا عن حقوق الفلسطينيين ، ولكنه نخلى عن نظريه وممارسة الثورة منذ امد بعيد . وهو الان يكرس جهده لشعار « الطريق السلمي للاشتراكية » ، ويعتبر هدفه الرئيسي « السلام والديمقراطية » .

كان غياب السياسات الثوريه هو الذي اجبر مجموعه من الاعضاء على ترك « ماكي » في عام ١٩٦٢ ، وتاسيس المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية، والمعروفة باسم صحيفتها ، ماتزين (البوصلة). قبلت جماعة « الماتزين » مواقف « ماكي »حول حق الشعب الفلسطيني وكذلك الشعب الاسرائيلي في تقرير المصير ، ونعطي الاولوية للنضال المعادي للصهيونية ويخضع كل المسائل الاخرى ، مثل نضال الطبقة العاملة الاقتصادي، لهذا النضال . ويعتبر ان الاطاحة بالصهيونية هي المهمة الاولى التي تواجه الثوريين في اسرائيل ، وفي نفس الوقت ، نؤمن ان المجتمع الاسرائيلي ، بعكس المجتمع الابيض في جنوب افريقيا ، يمكن تثويره من الداخل ، شرط ان يخضع مثل هذا التطور للتطورات الثورية في العالم العربي .

ورغم صغر حجم « الماتزين » ، فانها كسبت نفوذا في اوساط الشباب في اسرائيل ،وخاصة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، التي عارضتها. وفتحت « الماتزين » حوارا مفتوحا مع الاتجاهات اليسارية داخل حركة المقاومة الفلسطينية ، وفي سائر انحاء العالم العربي . وهي تؤيد النضالات المضادة للامبريالية ، والنضال الفلسطيني ضد السيطرة الاسرائيلية . ومع ذلك فهي لا تؤيد القومية العربية ، ولاالناصرية.

وقد تم ، مؤخرا ، ان انشق اتجاهان في الماتزين حول هذه المسائل ، احدهما يعتبر النضال ضد الصهيونية غير ذي موضوع ،ويدعو « لنضال الطبقة العاملة ضد السياسات البرجوازية » بصورته العادية ، اما الاخر فينظر الى القومية العربية كقوة ثورية ، وقد كان مثل هذا الانشقاق متوقعا ، غير ان غالبية اعضاء الماتزين اختارت معارضة هذين الخطين ، وتعتقد ان « الماتزين » ان للثوريين في اسرائيل دورا ليؤدوه في المهمة للاطاحة بالصهيونية داخل المجتمع الاسرائيلي ، وفي هذا تختلف «الماتزين» ليس فقط عن « سياح » والحزب الشيوعي ،بل وايضا عن الجماعات التي انشقت عنها .

لقد صور هذا التحليل البناء الطبقي الخاص للمجتمع الاسرائيلي ، والبناء الخاص للطبقة الحاكمة ، انه مجتمع تشكل من خلال الهجرة واستعمار ارض مأهولة بالسكان ، مجتمع تتحقق وحدته الداخلية عبر الصراع مع عدو خارجي . والطبقة الحاكمة في هذا المجتمع متحالفة مع الامبريالية وتعتمد عليها ، ولكنها هي نفسها لا تخدم الامبريالية عن طريق الاستغلال الاقتصادي للشعب الاسرائيلي ، وتحكم هذه الطبقة من خلال مجموعة من المؤسسات البروقراطية التي طورت اثناء عملية الاستعمار (الهستدروت والوكالة اليهودية) ، ولا تعمل الا قطاع ثانوي منها فقط من خلال الملكية الخاصة لوسائل الانتاج . ولا يمكن توضيح هذه اللامح كتناج لديناميكية المجتمع الاسرائيلي الداخلية ، ومع ذلك سهل فهمها كتناج لدينا مكية ،المؤسسة الصهيونية ككل .

وتؤدي كلا تجربة النشاط السياسي في اسرائيل والاستنتاجات النظرية المقدمة هنا ، نؤدي الى خلاصة حول استراتيجية النضال الثوري في اسرائيل .

يجب ان ياخذ النضال السياسي في اسرائيل، في المستقبل القريب ، ضد الطبيعة الصهيونية للنظام ، الاولوية على كل شيء اخر . ويجب ان توجه هذا النضال لكسب تاييد اولئك الذين يعانون مباشرة من الصهيونية ، وهذا يشمل كل اولئك الذين ، مثل الشبيبة الاسرائيلية او العرب الاسرائيليين ، لهم تجارب يومية في الصراع مع النظام نفسه . انها استراتيجية تشير الى تحطيم الطبيعة الصهيونية للنظام .

« انتهى »

الهوامش

١ ـ اسرائيل : مهمة امريالية في افريقيا ، مجلة القارات الثلاث عدد ١٥

٢ ـ افريقيا والعرب ، براير ١٩٦١

٣ ـ الهستدروت ـ (اللفخ العالمي)

٤ ـ المصدر السابق

٥ ـ التفاصيل الكاملة للمساهمات العسكرية الاسرائيلية الى افريقيا ، مجلة القارات الثلاث عدد ١٥

٦ ـ ديرشبيغل ، ٣ تشرين ثاني ١٩٦٦

٧ ـ هرتزل ، الدولات المختارة ، طبعة بيومان، تل ابيب ، المعهد السابع ، الكتاب الاول ص ٨٦

٨ ـ تقرير معهد فالك ، ١٩٦١ ـ ١٩٦٣ . كان المعهد المذكور ملكا يسب متسارية قبل من الدولة والهستدروت .

٩ ـ العرب في فلسطين (بالعبرية) ليوسف واشيتر ص ١٥١

١٠ ـ الشركات الاتحاد وتجمعها شكات جمع عامة انشاها الهستدروت في كافة انحاء اسرائيل ، وتقوم الفروع المحلية باسلام الاموال من المركز وليس من الاعضاء المحليين . وهذا يقدوه بفرض قيودا صارمة على استقلالها . وللهستدروت هيئة دائمة تالف من ٢٠٠٠ ، ومبنى الهستدروت في تل ابيب يعرف بـ « الكرملين » .

١١ ـ « الملحق العالمي » حول الموبيل العصبي للهستدروت ١٩٢٠ ـ ١٩٧٠

١٢ ـ « مولد » ، شرتوسها (بالعبرية) دائرة الثقافة والتعليم بالهستدروت عام١٩٦٦، ص ٣

١٣ ـ العرب في فلسطين ص ١٧٢

١٤ ـ قال الابن العام لمؤسسات الهستدروت، الحاخام الصاني الذي يبلغ على ٢٥ بالمائة من الاقتصاد ، المحاماة من رجال الاعمال الصهاينة في لوس انجلوس في اوائل عام ١٩٦٦، قال ان مؤسسات الهستدروت ليست محللة في اية سطة راسمالية اخرى ، ورغم ارباحاته الضخمة . فانه كان من النوع ان يحقق ربحا وتطهر مردودا مغولا حول الراسمال مثل اي شركة خاصة ، الصهاي تايمز ٢٧ ايار ١٩٦٦) .

١٥ ـ الخبر ، الصاعد في داخل المجتمع الاسرائيلي ، لاش توبل ، ٥ مارتيران ، عدد ٥٤ ، اذار ، سبتمبر ١٩٧٠ .

١٦ ـ لم تكن الكيبوترات الحدا تحتوي على اكثر من خمسة بالمئة من اليهود في فلسطين او اسرائيل ، ومن ثم ، ومعضا كانت القيود الاخرى ، فلا ينكر ان بعض اهم شكلوس المجتمع الاسرائيلي ، او اهمه دليل على ان اسرائيل بلد قشراتي

١٧ ـ ج. اميناي ، الحرر ، في سياح رقم ٥ ، ايار ١٩٧٠

١٨ ـ رو حمركه ، ٢ اليول ١٩٧٠